الهجوم العثماني على كردستان وسقوط امارة سوران

عبد الفتاح علي يحيى

القسم الثالث والاخير

ويقول الاستاذ مسعود محمد : ان الخطي اصدر فتواه بناءً على موافقة الامير ورغبته لمنع تدمير البلاد وفتح باب للسلام والاتفاق ، ويدعم الاستاذ رأيه هذا بدليلين : – اولها ان تعيين الخطي مفتياً ومرجعاً دينياً لامارة سوران في البداية كان على اساس ان لا يتدخل في شؤون الحكم والقضايا الدنيوية ، مقابل عدم تدخل الامير في الشؤون الدينية والشرعية ، وان يتمتع كل منهما بالحرية في حدود عمله . ولهذا التزم الخطي الصمت ازاء الكثير من اعمال الامير التي لا تنسجم مع القرآن الكريم والحديث الشريف ، لكنها كانت ذات فائدة لحكمه . وثانيهما .

ان الامير لا يمكن ان يقف مكتوف اليدين ازاء عمل يهدد ملكه فقد كان مشهوراً بقسوته وقتل كل من يشك في ولائه او يهدد ملكه فلماذا لم يقتل الخطي ؟ ! ولماذا لم يهرب الملا محمد الخطي وهو المطلع على قسوة الامير . ويصدر فتواه بعيداً عن بطشه ؟ ولو كان الخطي مذنباً لما سَلِمَ من هجاء الشاعر القومي حاجي قادر الكوبي المعاصر لتلك الاحداث[1] .

رغم دقة الاستاذ مسعود محمد في تحليلاته لمثل هذه الاحداث الكردية لكنه لم يكن موفقاً تماماً في تحليله لهذا الحدث المهم . فالمصادر التاريخية المعاصرة لا تذكر الاتفاق الذي نوه عنه . . . بين الخطي والامير في تقسيم الامور الدينية والدنيوية بينهما . لكنها تؤكد ان دستور حكم الامارة كان القران الكريم وان الامير كان يتدخل في الشؤون الدينية بتعيينه رجال الدين من المدرسين والقضاة في انحاء مملكته وان الخطي تدخل في شؤون الحكم . عندما حثّ الامير على اسعاف طلب صديقه الملا يحي المزوري الذي نزل ضيفاً عليه وتذكر بعض المصادر ان الخطي هو الذي أصدر الفتوى في ابادة الداسنية «اليزيدية» عام ١٨٣٢ . كما ان علي بك امير الداسنية الاسير قُتل ايضاً بايعاز من علماء الدين وكان هو على رأسهم ولا ننسى ان مجيء الخطي الى راوندوز ومقابلته للأمير في البداية كان لاغراض سياسية . ولعل هذا هو السبب الذي جعل الامير أن يحذره او يمنعه من التدخل في الامور السياسية وان يقتصر نشاطه على الامور الدينية فقط كما ذكر الاستاذ مسعود محمد .

هذا وقد بالغ البعض في الحديث عن قسوة الامير الشخصية ، فلو راجعنا ودققنا الاخبار لما تجاوز الذين قتلهم من خصومه السياسيين اصابع اليدين بينما تمكن من القاء القبض على العشرات منهم واقتصر قتله على الذين هددوا مركزه وحكمه .او تمادوا في عدائه ، اما مذبحة الداسنية المروعة فقد حدثت بفعل اثارة بعض من رجال الدين لعواطف الجند

الدينية .

واخيراً فالأستاذ مسعود محمد يسوق رأيه اعلاه دون الاستناد الى مصدر تأريخي او دليل بصدد وجود اتفاق بين الأمير والخطي بتقسيم الامور الدينية والدنيوية بينهما ، فهذا الرأي ثبت بطلانه علمياً ، ففي اكثر دول العالم عصرنة لا وجود للفصل بين السلطات الا نظرياً او على الورق .

اما لماذا لم يهجُ حاجي قادر الكوبي الملا محمد الخطي أو يبطش به الامير بسبب اصداره فتواه خلافاً لرغبته ، ففي رأيي يعود الى نشأة الامير الدينية واحترامه البالغ لعلماء الدين وخوفه من تأثيرهم الديني حتى أنه لم يمس العالم الديني الكبير محمد بن آدم البالكي ، بسوء خلاف الاخير معه او ربما وقف البالكي ضده ، وسمح له الامير بمغادرة راوندوز على ان يقيم في قرية روست[٢] ولم يتعرض الكوبي للخطي ويهجوه لان اشعاره القومية كانت موجهة للشعب دائماً وكان همه فيها ان يستشير نضاله من اجل الحرية والاستقلال ، وعلى قدر علمي ان الكوبي لم يذكر احداً بسوء بسبب مواقفه القومية او الشخصية .

أما احدث رأي في المسألة التي نناقشها – سقوط امارة سوران – فهو الرأي الذي جاء في كتاب «الشيخ نور الدين البريفكاني» للاستاذ محمد الكَزني وفحواهُ : – ان الخطي لم يصدر الفتوى بل نسبت اليه من قبل جماعة حصلوا باصدارها على الامتيازات – ولا يذكر الكَزني اسماءهم – وان الخطي لم يستطع الدفاع عن نفسه ورد خصومه بسبب وفاته في السنة نفسها «١٨٣٦» التي القي فيها القبض على الامير[٣] ويظهر ان الكَزني في قرارة نفسه مقتنع بأن اصدار الخطي للفتوى بات حقيقة تأريخية ثابتة لكنه لا يعرف كيف يدافع عن الرجل بدليل قوله :

«وحتى لو أصدر الخطي فتوى بحرمة محاربة العثمانيين ، لم تكن فتواه سبباً في اخماد الثورة والاضرار بالشعب الكردي ، بل ربما كانت لصالح الكرد[٤] ويستدل الكزني على قوله هذا بسرد قصة كان قد سمعها من بعض السادة وملخصها : – ان الخطي كان قد اصدر فتواه ، لكن بطلب من الامير محمد الذي تأكد انه لا مجال في محاربة الجيش العثماني بسبب اتفاق تركيا وايران وتشجيع روسيا وبريطانيا لهذا الاتفاق فكانت دولته محاصرة من جميع الجهات ونفذ العتاد وامتنعت روسيا عن بيعه السلاح . . فتيقن انه بغير الاستلام يهلك الشعب جوعاً ويقتل ، وفشل في اقناع المحاربين بالاستسلام فلجأ الى المفتي «الخطي» وامره باصدار الفتوى الشهيرة ، فوافق الخطي على ذلك بالحاح الامير . . وهكذا قدم الأمير نفسه كبش فداء لشعبه «فكان ضحية كبيرة وذبحاً عظيماً»[٥]

ان رواية الكَزني لا تصمد أمام النقد التأريخي ولا يُؤيدها التاريخ ففيها الكثير من الخلط والاضطراب والتناقض وانه اجتهاد مقلوب ايضاً توصل اليه الاستاذ الكَزني – بسبب قلة اطلاعه على المصادر التأريخية المهمة والمعتمدة في هذا الموضوع ، واغلب الظن ان هذه الرواية اختلقت اختلاقاً بعد وقوع الحادث ، كان الامير رجلاً حازماً واسع الحيلة متحمساً والمتحمس لا يستسلم بسهولة ، لكنه استسلم كارهاً ومضطراً . لانه عجزَ عن معالجة الموقف الذي احدثه الخطي بفتواه ، وان تعيينه أخاه الامير احمد خلفاً له دليل على ذلك فالأمير احمد – كما رأينا – كان من اشد المعارضين لاتجاه رجال الدين وللخطي بالذات ، وان محاولة الامير محمد الهرب في الطريق الى استنبول وفشله في ذلك ، ثم تشديد الحراسة عليه ، كما ذكر ذلك «محمد علي تقي» المشهور باسم «امير نظام» للقنصل الروسي العام في تبريز[٦] دليل اخر على استسلامه كارهاً كما ان طريقة قتله التي اختلفت الروايات فيها واخفاء جثته في الوقت الذي كان السلطان محمود الثاني يريد ان يثبت للعالم انه سلطان مصلح وان ضروب القسوة والاعدام السريع لم يعد لها مجال تحت حكمة العادل[٧] دليل آخر على مدى الخطر الذي كان يشكله بقاء الامير حياً على الدولة العثمانية هذا وتذكر وثائق قصر عابدين انَ ثورة وقعت في الامارة عندما علم الاهالي بمصرع الأمير وان عثمان باشا احد اخوة الامير أعلن الثورة على العثمانيين[٨] وبالتأكيد بعث حادث مقتله موجة هياج ترددت اصداءه في كل ارجاء كردستان انذاك وترك اعمق الاثر في مخيلة الشعب الكردي بخاصة في كردستان الجنوبية .

لقد اغفل المؤرخون سبباً مهماً كان له اثره الفعال في التعجيل بسقوط امارة سوران ، وهو اقدام الامير على اكبر جريمة خدم فيها اعداءه العثمانيين الذين كانوا يحاولون دائماً الاتفاق مع الكرد لتنظيم مذبحة للداسنيين ، وكان فشلهم بسبب رفض الرأي العام الكردي الذي كان لا يقر الاعتداء على غير المسلمين ولكن الامير لم يتردد في إراقة دمائهم ، وبتحريض عدد من رجال الدين بخاصة الملا محمد الخطي والملا يحي المزوري ، الذي نجح في تهيج العداوة القديمة بين السورانيين والداسنيين ، رفض الامير طلبهم للصلح والامان ، وارتكبت جيوشه التي وقعت تحت تاثير رجال الدين ايضاً من المظالم ما يندى له جبين الانسانية خجلاً . – يذكر الدملوجي ان جيش الامير السوراني مامر من قرية الا واجرى الدم فيها – وان حصيلة هجومه كانت اكثر من مئة

الف قتيل[٩] راحوا ضحية استغلال عدد من رجال الدين لمشاعر جنود سوران الدينية واثارتها ، ربما كان في هذا الرقم شيءٌ من المبالغة الا انه يدل علي ضخامة العدد وحجم المذبحة المروعة التي تعرض لها سكان المنطقة[١٠] .

لقد خسرت امارة سوران وخسر والامير محمد بعمله هذا ، قوة كبيرة كان من الممكن ان تقف الى جانبه اثناء الهجوم العثماني العام لو تسامح معها الامير ، لأستيائها الشديد من السلطات العثمانية وان عدم تمكن أمير سوران الطموح من اقامة سلطة قوية في بادينان كان لانشغاله دائماً في قمع تمردات الداسنية خاصة بعد قتله اسير حربه علي بكَ الداسني في راوندوز نهاية عام ١٨٣٤ م وبتحريض من رجال الدين ايضاً . وتفصيل الامر ان الداسنيين تمكنوا من استرداد سنجار وقتل معظم افراد حاميتها ، ووصل تقدمهم الى مقربة من الموصل حيث التقى بهم الجيش السوراني المرسل من راوندوز ودحرهم في حدود عام ١٨٣٤ واستعاد سنجار ، لقد أتهم الامير السوراني أسيره علي بك بتحريض الداسنية على القيام بتلك الاعمال ، فدعاه اليه محذراً ومعاتباً لكن الداسني أبى ان يتضرع وثار في وجهه ، فأمر الامير باعدامه وتعليق جثته لمدة ثلاثة ايام على جسر راوندوز وكان هذا في نهاية عام ١٨٣٤ . . فادى عمله هذا الى تجدد واستمرار المعارك بين الداسنيين والسورانيين مرة اخرى[١١] .

لذا يقول الدملوجي – وقوله لا يخلو من مبالغة أيضاً : ان امارة سوران ابتلعت امارة بادينان فعلاً لكنها اصيبت بسوء الهضم ولفظت هي الاخرى انفاسها[١٢] .

كما اساءت تلك المذبحة الوحشية الى سمعة الاكراد واثارت ضدهم الدول الاوربية التي كانت تعد نفسها حامية للأقليات الدينية في الامبراطورية العثمانية وبواسطتها كانت تتدخل في الشوون العثمانية الداخلية لذا نجد الدولة العثمانية في هجومها العام والاخير على الامارات الكردية «بوتان ، سوران ، بادينان . . . .» عام ١٨٣٤ – ١٨٥٠ اتخذت من تلك المذبحة ومن مهاجمة الامير بدرخان البوتاني للأثوريين لاسباب لا علاقة لها بالدين مطلقاً ، حجة للقضاء على الامارات الكردية رغم انها كانت تستصدر الفتاوي بابادتهم دائماً .

ويتساءل المكرياني معلقاً على عمل الامير فيقول : – ترى لمصلحة أي من الاعداء فعل الامير ذلك ؟ فيجيب على تساؤله : انه فعل ذلك بتحريض من رجال الدين وكان فسحه المجال لهم بالتدخل في شؤون الامارة من اعظم اخطائه[١٣] .

لا شك ان الامير كان يخضع لنفوذ حاشيته من عدد من رجال الدين وان الحاشية هذه لم تحسن القيام بواجباتها الدينية والوطنية الصحيحة ، كما اعتقد ، ويظهر مما سبق انه لم يكن يتوقع خيانة داخلية ، ولكن اعتماده المفرط عليهم وتعصبه الديني انقلبا عليه ، وكان من سوء حظه ان يكون الى جانبه عالم ديني كبير له منزلة في كردستان والعراق وخبير بالفتاوي والفرامين والمناشير السلطانية .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان الامير شخصياً لم يظهر براعة عسكرية في مقاومة الجيش العثماني ، الذي لم يلق مقاومة جدية الا في اربيل وعقرة تقريباً . . . وترك الامير حكام المدن زاخو عقرة وحرير وكويسنجق والتون كوبري ، يواجهون الجيش العثماني بامكاناتهم المحلية المحدودة دون دعم او امداد من راوندوز ، بينما تحصن هو في راوندوز ينتظر وصول قوات رشيد باشا الرئيسية لتلقي حصارها عليه ، وربما رأى الامير انه من الافضل ان ينسحب الى راوندوز ليستدرج الجيوش العثمانية الى أعماق كردستان حيث الجبال الوعرة الحصينة وقلاعه المنيعة ، معتقداً ان القبائل الكردية والامراء الاكراد سوف يهرعون لمساعدته عندما يرون هذا الجيش الاجنبي الجرار يدخل اراضيهم فيوجه من هناك ضربته القاضية وبالرغم من كون هذا التكتيك العسكري المتميز ببعد النظر كان في محله ، لكن كان بدون جدوى فبدلاً من ان تهرع القبائل الكردية ورؤسائها لنجدته في ذلك الوقت الحرج وتدافع عن اراضيها فقد رافق الكثير منهم الجيش العثماني وشاركوا في الالتفاف حول راوندوز واسقاط الامارة[١٤] ووقف اخرون موقف المتفرج .

اكتفي بهذا القدر من الاراء والتعقيبات التي أوردتها

– فحفنة واحدة تنيءُ عما في الحمل – كما يقول المثل الكردي ، اعتقاداً بان لها اهمية خاصة والذي يظهر منها ومن الاراء التي لم اسجلها ، ان بعضاً من رجال الدين والمتدينيين من الاكراد يبرون بوسيلة او باخرى ساحة الملا محمد الخطي ، سواء الذين قرأت لهم او استأنست بارائهم شفاهاً ، بدعوى انه اصدر فتواه بناءً على رغبة الامير او انها امليت عليه ، او ان اخرين أصدروها ونسبوها إليه . او انها شائعات اثارها خصومه من حوله لاسباب شخصية .

اما الكتاب والمؤرخون والمهتمون بالتاريخ من رجال الدين وغيرهم وفي مقدمتهم كَيو المكرياني وحسين حزني المكرياني وهژار المكرياني . . . وغيرهم فيعدونه الطرف الرئيس في اسقاط الامارة السورانية .

ان معرفة الماضي معرفة صحيحة والحكم عليه واتخاذ موقف سليم منه

ضروري جداً لدفع المجتمع نحو الصحيح . ويتطلب هذا ترك العواطف الدينية والعائلية الشخصية والتخلص من الرسوبات المتراكمة في النفوس والتحرر منها – فالذين ما زالوا حتى يومنا هذا كارهين ان يعترفوا او يذكروا اخطاء الاجداد ، لا يمكن ان يخدموا ماضيناالقومي ومستقبله ، فمواجهة الحقيقة مهما تكن من اول صفات المؤرخ والكاتب المنصف .

في الوقت الذي يبرئ البعض ساحة الخطي من تهمة الخيانة ويتهمون الآخرين باصدار الفتوى ، نراهم يتكتمون في اقوالهم عن ذكر اسماؤهم وبيان هويات المسببين او حتى الاشارة اليهم ولا يجهدون انفسهم للتوصل الى معرفة الظروف والاسباب والعوامل التي ساعدت على وقوع المأساة وانهيار الامارة .

ولا نجافي الحقيقة اذا قلنا ان الخطي لم يكن من ذوي السير الرائعة والبطولات الحافلة وانه وادريس البدليسي ، الذي اخضع معظم الامارات الكردية رسمياً للدولة العثمانية عام ١٥١٦ م ،[١٥] ، راحا مضرباً للأمثال في الخيانة بالنسبة للاجيال الكردية هذا ما استقر في اذهان الناس وانطبع فيها وتؤيده الروايات الشعبية ولاغاني التي تحكم التهمة على الخطي مثلاً ففي رواية شعبية ان القائد العثماني رشيد باشا ارسل الى الملا محمد الخطي رقية مفرغة اللب محشوة بالليرات الذهبية تمويهاً . كعربون لقاء التعاون مع الجيش العثماني .

واذا عدنا الى الاغنية الكردية التاريخية – خاصة المعروفة بـ «لاووك – حيث الكثير من الوقائع التاريخية انعكست فيها . نرى انها تلقي اضواء على مسائل ما زالت مثار نقاش حتى الآن بين المؤرخين فالمغنون الاكثر تجوالاً والتصاقاً بالجماهير قد خلدوا بسالة الامير محمد وايام حكمه المتميز واستطعت ان احصل بعد الكثير من الجهد على بعض كلمات اغنية «لاووك» للمغني الامي الراحل عبد العزيز محمد «عزيز قوان» او «عزيز اغا» وهو من مواليد ثمانينات القرن الماضي ، من احد المغنين القدماء وكان قد سمعها منه اثناء زيارة عزيز اغا لقريته في اربعينات هذا القرن–[١٦] واستعنت بالعديد من المسنين لتكملة نواقصها وتفسيرها ولم اتوصل الى اسمها . فانتزاع مثل هذه المعلومات صعب جداً من المسنين الذين ينشدون الهدوء وراحة البال دائماً ، والذي يفهم منها له قيمة تاريخية نادرة في بيان مشاعر الناس انذاك وموقفهم من سقوط الامارة وفتوى الخطي .او موقفه تقول الاغنية «اللاووك» : –

اواه . . . مئة مرة اواه . . ان اليوم الواحد يعادل مئة يوم . دەلى / لى/ لى/ لى . ، . وابى / سەد / جارا / لمن / وابى / روژى / سەد / جارا / بەمن / روژى / ثم يروي المغني استعداد المدينة المحصنة للمقاومة وتهيؤ المقاتلين عسكرياً لرد الغزاة رغم ما اصاب المدن والقرى من الدمار فيقول :

شارى / مه / رەقه / وەكى / ئاسنى

برا / شەرى / مه / بەتال / نابيت / لەگەل / فەسادى / دەمارى / غەمى .

ئەوى / روزى / شارو / كَوندي / مه / بمالاته / كەته / وى / حالى .

وتقول الاغنية ان الخطي عقد مؤتمره في المدينة ولا يتراجع عن اقواله : –

مەلا بى / خەتى / مەجلس / خو / لەشارى / بەستابى / . . لەسەر / قەولو / قرارى / خو ناچيته / دەرى .

ويفهم من مقاطع الاغنية الاخيرة انه بعد استسلام الامير اخذ الناس ومن بينهم الملا الخطي نفسه يدعون من الله ويتشفعون بالشيخ عبد القادر الكيلاني ان يعيد الامير سالماً .

ان البت في خيانة الخطي لا يختلف فيه اثنان واصبح من الامور البديهية جداً ، وقد تناقلت الاجيال في منطقة سوران خاصة خبر خيانته – وما زال سكان مدينة راوندوز يصفونه بالخائن . والجدير بالذكر انهم هاجموا قبره في راوندوز بعد انتصار ثوره ١٤ تموز ١٩٥٨ كرمز للخيانة وللتنفيس عن الغضب كما كانوا يهاجمونه دائماً في احتفالات نوروز وفي الكلمات التي كانت تلقي في المناسبات الوطنية قبل الثورة .

ومهما يكن فلا يمكن ان ندفع عن الخطي التهمة والمسؤولية التاريخية باعتباره شخصية كردية ، وحتى لو نجا من الوصمة الخيانية فلن يفلت من المؤاخذة . . والذي يفلت على الظن ان الخطي أتهم بالتقصير وربما الخيانة في وقتها وفقد احترام الناس له بدليل قول المكرياني من انه : – ترك راوندوز ولم يبق له نفوذ واحترام عند الاهالي بعد الذي حدث فأضطر الى الهجرة[١٧] كما ان مقبرته ما زالت معروفة في راوندوز ولكن شاهد قبره لا يحمل أي كتابة[١٨] .

* * *

رأي في الفتوى

لا ينكر ان الخطي ادى خدمة عظيمة للدولة العثمانية في تلك الفترة الحرجة التي كثرت فيها ثورات وانتفاضات الشعوب التحررية عليها ، وبرغم ان طاعة السلطان من الامور والموضوعات الفقهية التي ثار حولها

الجدل بين الفرق الاسلامية منذ صدر الاسلام وانقسم الفقهاء الى فريقين : – احدهما يوجبها والاخر لا يوجبها وفي فترات تاريخية اخذ كل فريق من المسلمين يأخذ من الشريعة الادلة التي ينتفع بها في حرب خصومه ويتجاهل ما سواها ، فعلماء جامعة الازهر وقفوا مع محمد علي باشا عندماصدرت الدولة العثمانية فتوى بتكفيره واحلال دمه ، ودخل محمد علي بواسطتهم في مبارزة بالاحكام الشرعية والفتاوى مع الدولة العثمانية واعتبر نفسه احق من السلطان وسخر منه لانه سمح لنفسه ان يحاربه باسم الدين . وعندما سألوه في موضوع الحكم . وهل يجوز لعلماء الازهر الرد على فتوى السلطان اجابهم محمد علي : بان «علماء الازهر احفظ للدين واعرف باحكام القرآن الكريم من جميع علماء الاسلام «ثم قال : «انا لم اطلب منهم شيئاً ولكن ما فعلوه انما هم فعلوه دفاعاً عن حرمة الدين من ان تنتهك[١٩] .

فاذا كان الملا الخطي مؤمناً بوجوب طاعة السلطان وان عمله كان بدافع الاخلاص للعقيدة . فلماذا لم يصدر فتواه في تحريم قتال جيش الخليفة اول الامر ؟ ! وهل كان السلطان العثماني محمود الثاني وقادته الذين زحفوا على كردستان جديرين حقاً بالطاعة الدينية ؟ !

ان والي عكا عندما وقع اسيراً بيد الجيش المصري في ايار ١٨٣٢ قال في محمود الثاني وبابه العالي مخاطباً ابراهيم باشا «لا تعاملني ياباشا معاملة الحريم فان دفاعي يبرهن على الصد وكل اخطائي اني اعتمد على الباب العالي الذي لا يزيد شرفه في نظري عن شرف مومس ، ولو عرفت ذلك لما كنت ملقياً بين يديك[٢٠] .

ويجمع المؤرخون على ان موت السلطان محمود الثاني غير المتوقع في عام ١٨٣٩ كان بسبب ادمانه على الخمر الذي كان قد هد جسمه قبل ذلك بزمن طويل .

اما علي رضا باشا اللاز المملوك القوقازي ، فقد كتب عنه معاصروه والذين شاهدوه وعاشروه ، بانه كان سيئ الادارة ضعيف الرأي واهن العزيمة فظ في قابلياته وشهواته واناني جشع ، وان المقت لشخصه وحكومته يتخلل طبقات الناس كلها باستثناء المخلوقات التي كانت تحيط به من الذين كانوا يغصبون اموال الناس ويفتخرون بعملهم بعلم علي رضا الضال «وانه بمجموعه رجل ذو ميول خسيسة وغير لائق بالمرة للمنصب العالي الذي كان يشغله» ووصلت التأثيرات السيئة لسوء ادارته العامة الى درجة اصبحت فيها البلاد قفراً يبابا ، كما كان شديد الميل للخمرة مدمناً عليها ويقول مشاهده فريزر ان « . . . رذيلة السكر اصبحت شيئاً عاماً تقريباً لان الباشا الآن يقود طبقة السكارى بنفسه ويرى عادة وهو لا يكاد يقدر على السير حينما يعود مساءً من حفلاته الداعرة في البساتين . . ،»

علماً انه كان قد زار بيت الله الحرام[٢١] . .

ومحمد اينجه بيرقدار كان مرتزقاً شقياً عرف بسوء اخلاقه وظلمه وقسوته التي ما زال يضرب بها اهالي الموصل الامثال[٢٢] واشتهر بعدائه الشديد للكرد ، هذا بالاضافة الى ان قصورهم كانت ملأى بالجواري والقيان وحكمهم تميز بالفوضى وفقدان الامن ونهب الناس وانتهاك حرماتهم .

هؤلاء هم بعض الذين حرم الملا الخطي قتالهم ! ! فاذا كان الشيخ في غفلة عما يجري ، كان عليه ان يجعل العقل مقياساً وحكماً ، فأمير سوران كان الاجدر بالطاعة والولاء من الذين هاجموه من قبل المسلمين الكرد على الاقل فبأتفاق جميع المؤرخين والكتاب ، كان حكمه عادلاً وقانونه القرآن الكريم اضافة الى انه اشتهر بالتقوى والصلاح والتدين . اذن ففتوى الخطي ليس من الدين في شيء بل هو أثر الجهل بالدين الحق والابتعاد عنه ، فالدين يجب ان لا يوضع في خدمة مستغليه ، وكان بامكان المحيطين بالامير والذين كان قد منحهم ثقته ان يتخذوا من الدعوة الدينية وسيلة للكفاح ضد الغزاة والتحصن بوجههم والذي اراه ان موقف الخطي من امارة سوران لا يدل الا على الذوبان في «موقد الحكم» والسير في ركاب الدولة العثمانية ، وانه لم يصدر فتواه من تلقاء نفسه ، بل بعد اتصال القادة العثمانيين او الخليفة به ومكاتبتهم له ، وتلبيته لدعوتهم ورغبتهم لا تخرج عن أحد أمرين : –

أولاً : – اما انه كان فعلاً رسولاً عثمانياً منذ البداية فشعر باهميته – اثناء الحصار – عندما كلفته الدولة بهذا العمل والشعور بالاهمية او بالجدارة في لحظة ما كثيراً ما يكون سبباً اساسياً للقيام بالعمل ويؤثر تأثيراً قوياً على ما يدلي به الشخص من مقترحات او اقوال .

ثانياً : – واما انه لم يصمد امام الاغراء العثماني الذي تغلب على الموقف الحق الذي كان عليه ان يتخذه ، فأستغل علمه ومكانته الدينية لتحقيق منافع شخصية ، فضرب على اشد الاوتار وقعا في نفوس الناس ، لأثبات عثمانيته وليطمئن على معيشته في العهد المقبل . . . وليحظيه

برضى السلطان وولاته في الوقت نفسه ، ولا يغيب عن البال ان المصلحة النفعية احيانا تفسر الكثير من المواقف قبل اي قناعة عقائدية والخطي لم يكن مجردا منها كأنسان .

ثانياً – الاسباب الخارجية : –

كانت كردستان مسرحا للتنافس بين الامبراطوريتين العثمانية والفارسية واتخذ الصراع لأجل السيادة التامة على مختلف المناطق التي يقطنها الاكراد ، شكلا حادا بينهما خاصة قبل بداية القرن التاسع عشر ، وفي هذا القرن دخلت ميدان الصراع على كردستان الدول الاوربية وعلى رأسها روسيا وبريطانيا ، اللتين اولتا اعظم الاهتمام بالقبائل الكردية ، فنشط العملاء الانكليز في المجال الحربي – التجسسي والتحريضي – الدعائي في كردستان بعد تأسيس دار اقامة شركة الهند الشرقية في بغداد عام ١٨٠٦ ، فقام ريج الذي تسلم منصب مقيم الشركة بمهامه بنشاط في توثيق صلاته مع رؤساء القبائل الكردية برحلته الطويلة في كردستان عام ١٨٢٠ ، واخذ الخبراء العسكريون من الانكليز بتدريب الجيش الايراني منذ بداية القرن . . ، وحاولوا التسلل الى كردستان التي اصبحت مسرحا لرحلات مختلف القادة والسياسيين والعسكريين الانكليز[٢٣] .

اما اول اتصال حدث لروسيا مع الاكراد فكان اثناء فترة الحرب الروسية الايرانية والروسية العثمانية ، ففي عام ١٨٠٤ أتصل ممثلو الامبراطورية الروسي القادة الاكراد وذلك لجذبهم الى جانبها في حروبها مع ايران والدولة العثمانية ، وتعهدت روسيا بحفظ جميع حقوق وامتيازات القادة الاكراد في حالة انتقالهم الى جانبها واكتسابهم المواطنة الروسية ، الا ان محاولاتها اصيبت بالاخفاق ، فسعت عندها الى ضمان حيادهم على الاقل اثناء حروبها مع العثمانيين ، وفعلا لم تشترك امارات بوتان وهكاري وسوران وبادينان في الحرب الروسية العثمانية عام «١٨٢٨–١٨٢٩» ووقفت على الحياد بل وانحاز ووقف بعض الاكراد الى جانب روسيا بسبب سياسة القمع الوحشية للدولة العثمانية التي لم يروا منها أي حسنة[٢٤] ، وعندما انتصرت روسيا في الحرب ارادت ان تحتفظ ببعض المناطق الكردية التي احتلتها لتضمن لنفسها نفوذا بين الاكراد وتستفيد من قدراتهم القتالية ، فقد كتب القائد الروسي باسكيفيج في حزيران ١٨٢٩ الى بطرسبورغ يقول : «ان ضمان» «بايزيد» يقوي نفوذنا في كردستان الشمالية وانه في حالة وقوع الحرب يمكن الحصول على جيش اضافي غفير من الفرسان المعتبرين ، احسن فرسان اسيا الذين يستطيع خصومنا الاكثر دهاءاً جمعهم ضدنا في ظروف اخرى[٢٥] .

ان تشابك مصالح الدول الكبرى فوق اراضي الدولتين الايرانية والعثمانية على النحو الذي اوجزناه ، انسحب تاثيره على حركات تحرر الشعوب الخاضعة لها ، وذلك بتدخلها في كل حركة معادية للدولتين الشرقيتين ، وهذا يفسر لنا الموقف الموحد لروسيا القيصرية وبريطانيا حيث كان نفوذهما سائدا في ايران والدولة العثمانية ، من حركة محمد علي باشا المعادية للسلطان العثماني ، وحركة امير سوران المعادية لايران والدولة العثمانية ، فقد وقفت روسيا مع السلطان بصورة سافرة ووقفت فرنسا مع محمد علي باشا علنا ، وكان مصير السلطان يهم كل الدول الكبرى لان تفكك امبراطوريته تحت ضربات محمد علي باشا كان يهدد بالوصول الى تقسيم سيئير بلا شك عداء بينهم . فامكانية محمد علي في تجديد الدولة العثمانية المنهارة كانت تهدد مصالح روسيا التي سترى جارا قويا ومنتصرا يأخذ مكان جار ضعيف مهزوم ، ووقفت بريطانيا الى جانب الدولة العثمانية خشية من انشاء محمد علي دولة اسلامية ذات قوة مركزها مصر فتخشى ان تمتد من هناك الى الهند الذي هو «روح الانكليز»[٢٦] ، اضافة الى ان بريطانيا كانت ترغب في الاحتفاظ بالدولة العثمانية التي تمثل حاجزا ضد التوغل الروسي في البحر المتوسط والشرق الادنى ، لذلك فانها لم تكن توافق على ان تنهار دولة السلطان او حتى ان يخسر جزءا من اراضيه ليتركز النفوذ الروسي في الشمال والفرنسي في الجنوب فتهددان بذلك الطريق الى الهند «تاج مستعمراتها» ، فدعم الامبراطورية العثمانية والمحافظة على وحدتها واستقلالها كان شيئا بديهيا في سياسة بريطانيا الخارجية[٢٧] ، لذا كانت بريطانيا تكره محمد علي باشا جدا لانها رأت فيه الخطر الحقيقي الذي يهدد طريق الهند «خط الحياة الامبراطوري» وسياستها في المنطقة ، فبذلت جهودها في الاحتفاظ بكامل الاراضي العثمانية حيث نفوذها كان سائدا ، وبذل الدبلوماسيين الأوربيين جهودا كبيرة لعقد الصلح بين السلطان ومحمد علي باشا وتم لهم ذلك في كوتاهية عام ١٨٣٣ ولما كانت ثورة أمير سوران قائمة على ايران والدولة العثمانية لهذا باءت بعدائهما وعداء اصدقائهما من الدول الاوربية ولم يكن الامير السوراني غافلا عما جلبه لنفسه ، لذا نراه يستفسر في تموز ١٨٣٣ من الدكتور روص عن علاقة بريطانيا بايران وروسيا ويرغب في معرفة ذلك[٢٨] ، فايران كانت تخشيه امير سوران الطموح الذي وضع حدا لتدخلها وتغلغلها في

كردستان ، والدولة العثمانية كانت تعتبره متمردا وخارجا عن ارادتها ، ففي الوقت الذي وضع فيه العثمانيون خطتهم للقضاء عليه ، بدأت ايران بواسطة حاكم جنوب اذربيجان الايرانية محمد علي تقي «امير نظام» باعداد حملة معادية للأمير وطرده من الاماكن التي كان قد احتلها ، وبالنظر لنقص السلاح التجأ امير نظام الى القنصل الروسي العام في تبريز «كودينج سيمو فيجيا» ملتمسا عون دولته لامداده بذخائر المدافع من مخازن ما وراء القفقاس ، ولرغبة روسيا في الاحتفاظ باقليمي كرجستان وارمينيا اللتين كانت قد ضمتهما حديثا لاملاكها بعد انتصارها على ايران في حرب ١٨٢٦ - ١٨٢٨ . استجابت للطلب الايراني ، فتسلمت القوات الايرانية من المخازن الروسية «١٥٠٠» قذيفة مدفع ٢٤ ، و ٣٠٠٠ قذيفة مدفع ١٤ . . . وبسبب هذا تأخرت الحملة الايرانية الى صيف عام ١٨٣٦ حيث تجمعت جيوش قوامها عشرة الاف جندي من ضمنها خمسة الوية مشاة للاغارة على عاصمة سوران[٢٩] . هكذا تزامنت الحملتان الايرانية والعثمانية على امارة سوران وتسابق الاثنان في احراز قصب السبق في القضاء عليها قبل تعقد الامور .

أما بريطانيا فقد دعمت حملة رشيد باشا وبسرعة للقضاء على حركة الكرد خوفا من ان يعلن امير سوران الولاء للحكم المصري القائم في سوريا فتتعقد الامور في اشراك المصريين بالمشكلة ، كما كانت ترغب في السلام والصلح والتقارب بين ايران والدولة العثمانية ، لأن مصالحها في الخليج العربي كثيرة فضلا عن انها لا تود ان ترى البلاد المجاورة للهند في حالة غير مستقرة قد تساعد على انتشار الثورة وظهور اضطرابات على الحدود[٣٠] ، لذا وجد الانكليز مصلحة في تقارب عثماني ايراني تحت اشرافهم ، ربما لأستعمالها سوية ضد روسيا ايضا ، وبناء على هذه السياسة قاموا بحلِ بعض خلافاتهما ووافقت ايران بالتنسيق مع العثمانيين . . ، فعندما بدأت القوات العثمانية ، تتحرك من قواعدها صوب راوندوز ، في هذا الوقت اراد الفرس ان يقحموا انفسهم في المعركة المقبلة ضد امير سوران ، فعرض امير نظام «قائد الجيش الايراني على كل من رشيد باشا - قائد عاماالجيش العثماني - وعلي رضا باشا وحاكم ارضروم ، ان يتعاون معهم في حملة مشتركة ضد الامير السوراني - واتصلت السلطات الفارسية بالمسؤولين الانكليز في هذا الصدد فرحبوا بهذا العرض وزكوه لدى العثمانيين وبعث السفير البريطاني «بونسنبي» أحد رجاله الدبلوماسيين وهو «ريتشارد وود» قنصل بريطانيا في حلب الى السلطات الفارسية والعثمانية لتنسيق التعاون بين تلك الاطراف ، واتصل «وود» بالقوات العثمانية مباشرة ليحثها عليه التعاون مع الفرس وسلم رشيد باشا خطاب «امير نظام» بهذا الشأن[٣١] .

ويذكر المؤرخ خالفين ان القيادة الايرانية وتحت ضغط الدبلوماسيين الانكليز حاولت اقامة الاتصالات مع رشيد باشا وعلي رضا باشا اللذين كانت جيوشها قد بدأت بالهجوم الفعلي على امارة سوران ، للتعاون معها ولهذا القصد توجه السكرتير الاول في البعثة الانكليزية الكابتن «شيل» من تبريز الى المعسكر العثماني في بداية تموز ١٨٣٦ ، وبامر من المبعوث الانكليزي في طهران «اليس» الذي خوله بان يقنع رشيد باشا بالعمل ضد امير راوندوز بالاتفاق مع الفرس[٣٢] .

مهما يكن فان رشيد باشا لم يكن مستعدا لتقسيم نتائج انتصاراته مع اي شخص اخر خاصة اذا كان . ذلك الشخص ممثلا لايران ، ورأى في العرض الفارسي مناورة خطيرة يهدف الفرس من ورائها الى الحصول على مبرر للتدخل في امور كردستان لذلك صدرت التحذيرات من جانب العثمانيين الى السلطات الفارسية ، فحذر حاكم ارضروم «امير نظام» من دخول قواته ارضا عثمانية تحت شعار التعاون ضد امير سوران[٣٣] .

واعتبرت الدولة العثمانية الوساطة الانكليزية محاولة للتدخل في شؤونها الداخلية[٣٤] ، وعندما كان الانكليز يحاولون تنظيم هجوم ايراني عثماني على عاصمة سوران ، هُزم جيش الامير في عقره وبعض المناطق الاخرى .

في الحقيقة ان الامير محمد تعرض لأنواع شتى من الضغوط دون ان تكون له خبرة جيدة في فنون الدبلوماسية الدولية واساليبها بدليل انه لم يثبت قدرة جيدة في استعابه وتعامله مع القوى السياسية التي كانت تتربص للقضاء عليه ، فلم يستطع الاستفادة من التنافس المبني على الحسد الذي نشأ بين رشيد باشا وعلي رضا باشا[٣٥] وانه عندما اضطر الى اللجوء الى الخديعة واستغلال الخلافات الايرانية والعثمانية وارسل احد دبلوماسيه محملا بهدايا الى «امير نظام» المعسكر في لاهيجان «لاجان» للحصول على الدعم العسكري ، او على الاقل تأمين عدم تدخل القوات الايرانية في المعركة ، وتعهد لقاء ذلك بدفع ضريبة سنوية للشاه ، رفض «امير نظام» هذا العرض رغم تسلمه الهدايا ، فلم يكن هناك مجال للدعم الايراني لأن ايران نفسها كانت تتهيأ للقضاء عليه ، بسبب حملاته المتكررة على اراضيها ، ولأن روسيا وبريطانيا حيث كان نفوذهما سائدا في ايران وتركيا ، كانتا تناوئان امير راوندوز وتعاديان اي تقارب ايراني معه[٣٦] . لكن ايران رغم تحذير الدولة العثمانية لها بعدم

التدخل وبسبب اطماعها في كردستان ، اخذت تبحث عن سند قانوني للتدخل ، فحاولت اقناع امير سوران بقبول الجنسية الايرانية واعلان الولاء التام للشاه لتتمكن من التدخل والتصرف ، وكانت الحكومة الفارسية قد اتقنت هذه السياسة في صراعها الطويل مع الدولة العثمانية على كردستان والعراق وذلك بدفع الأمراء الاكراد والعرب الذين يتعرضون لضغط العثمانيين الى اعلان الولاء للشاه وقبول الجنسية الفارسية فتدخل الجيوش الايرانية الاراضي العثمانية[٣٧] .

ولكن امير سوران الذي اشتهر منذ بداية نهوضه بعدائه للدولتين رفض عنده اللعبة الفارسية القديمة ، ولم يكن راغبا في ابدال سيد بسيد اكثر شرا . . . فلم يصغ مطلقا لعرضهم ، ويقول الدكتور نوار : ان الامير على العكس من الامراء البابانيين رفض العرض الايراني لاعتقاده ان اعلان الولاء للفرس واللجوء اليهم خيانة لمذهبه الديني ولخليفة المسلمين[٣٨] ، والحقيقة ان الامير كان قد اعلن تمرده ثم انفصاله عن الدولة العثمانية منذ سنين وحاربها وتحالف واتفق مع اعدائها ، وبلغ عدم احترامه لشخص «خليفة المسلمين» أن أمر بذكر اسمه بدلا منه في خطب يوم الجمعة ، وبلغ حقد الخليفة العثماني عليه ان أمر بقتله عندما تمكن منه ، بينما امر بالعفو عن داود باشا الذي حاول الانفصال وحارب جيشه ايضا ، كما ان تدخل ايران لصالح امير سوران او اعلان الاخير ولاءه لها ، كان يخالف السياسة البريطانية في المنطقة ولا يتماشى معها ، ويؤيد هذا الدكتور نوار نفسه عندما يذكر : ان السلطات البريطانية كانت لا تسمح للفرس بمتابعة مثل تلك المناورات في بلاط الامير السوراني حتى لا تحدث ارتباكات على الحدود تؤدي الى تعقيدات دولية تحطم السياسة البريطانية الخاصة بالمحافظة على الاستقرار على طول الحدود الفارسية العثمانية ، ولما كان الانكليز قد فشلوا في ايجاد التعاون بين الفرس والعثمانيين ضد امير سوران فقد حذروا ايران من القيام بأي تحركات معادية للعثمانيين[٣٩] . وهنا يذكر بعض المؤرخين ان امير سوران كاد أن يوافق على العرض الايراني ، الا ان الانكليز عندما فشلوا في تنسيق التعاون بين ايران والدولة العثمانية ، تدخلوا في المشكلة رغم معارضة القيادة العثمانية ، خوفا من ان يعمد امير سوران في فترة من فترات اليأس الى ان يضع امارته تحت الحكم المصري نكاية بالعثمانيين اذا ما اطبقوا على امارته ، وكان الانكليز يعملون على عدم اشراك المصريين أو غيرهم في هذه المشكلة حتى لا يتطور الصراع الى ازمة كبرى ، خاصة اذا كان هذا التدخل من جانب قوة مناهضة للمصالح البريطانية الاستعمارية في العراق ، لذا اتصلوا مباشرة بالامير السوراني وبعثوا الى «ريتشارد وود» وكانت مهمته تقضي بان يبذل اقصى الجهد في سبيل اقناع الامير بعدم الاستماع الى التحريضات الايرانية ، وان يقدم نفسه مستسلما للقوات العثمانية على أمل ان تسعى السفارة البريطانية في استنبول لاستصدار العفو عنه[٤٠] .

والذي اراه ان «ريتشارد وود» الذي اختارته بريطانيا منذ عام ١٨٣٥ ليستقر في بيروت ويعمل على تقويض الحكم المصري في سوريا ، لم يصل الى راوندوز او يلتق بالامير ، ولو كان هذا اللقاء قد حدث فعلا لذكرته المصادر الكردية ، والدبلوماسيون الاجانب ، وما أبرئ بقولي هذا بريطانيا من القيام بمثل هذه الاعمال فالثائر الكردي «يزدين شير» البوتاني استسلم للعثمانيين بخدعة من الجاسوس البريطاني «نمرود رسام» عام ١٨٥٦ والقي في السجن رغم تعهدات الدبلوماسيين الانكليز بسلامته .

وازاء رفض الامير للعرض الايراني وموقف بريطانيا من تدخلها اكتفى الجانب الايراني هنا بطرد ممثلي الامير من المناطق الكردية التي سبق ان احتلها ، وسيطرت القوات الايرانية على قطعان كبيرة من الماشية تعود لرعايا الدولة العثمانية التي احتجت على ذلك وخوفا من تطور الامور وتعقدها بذل رشيد باشا جهوده وحرك وبسرعة كل قواته نحو راوندوز فكان ما كان . .

ان حركة امير سوران قد ارتفعت الى مستوى الازمات الدولية وفرضت على الدول الاوربية بخاصة بريطانيا وروسيا التدخل في كردستان لكسب ود الكرد وحماية مصالحها في ايران والدولة العثمانية وكان هذا يتطلب المحافظة على السلام بين الدولتين الشرقيتين ، وهذه هي الاصداء الدولية التي حاول البعض ان يجعلها سببا رئيسيا لسقوط امارة سوران ، والذي اراه انه كان لها تأثير محدود ، فلو رفض الامير محمد الاستسلام وعالج فتوى الخطي واثبت قدرة على تفهم القوى السياسية وقاوم الجيش العثماني وانتصر عليه كما فعل محمد علي باشا ، لاختلفت مواقف الدول الكبرى منه ولكانت للمسألة اصداء دولية اخرى غير التي عرفناها ولسجل التاريخ غير ما سجل .

فالمؤرخون الكرد وغيرهم يكاد ان يجمعوا على ان الاسباب الداخلية المتمثلة بالخيانة والتنصل وبيع الذمم وواقع الظروف الاجتماعية والسياسية في كردستان وفي تلك المرحلة التاريخية ، لعبت دورا كبيرا في اخفاق تلك الانتفاضة وسقوط امارة سوران ، حتى ان رجلا محايدا كالميجر سون

يعلن هذه الحقيقة ، ويلوم الكرد من جرائها فيقول : ان جيوش جميع الامم الشرقية باستثناء آشور ، وشهدتها زاحفة مبتعدة جنوبا وغربا نافضة يدها ، يائسة من التوغل في البلاد العسيرة لشعب «كوردنى . . الضاري ، وان الكردي كان دائما مقداما وشجاعا لا يقهر بعيدا عن الخضوع والطاعة للغير ، فلم يخضع لأحد قط ولم ينكسر الا في حروبه الداخلية» ولا يشتت شملهم الا ما قد ينجم بينهم من خصام تلظى ناره ويطاول «الامر الذي زاد نفوذ الغاصبين والمحتلين لبلاده ومكنهم منه . . .[٤١]» .

الخاتمة : —

وصلت الدولة العثمانية الى أسوأ حال من التخلف الاجتماعي والانحلال الاداري والعسكري بخاصة في القرن التاسع عشر الذي اطلق عليه الكتاب «قرن انحلال الامبراطورية العثمانية الهرمة وبدء يقظة الشعوب ونهضتها في شتيه البلدان التي كانت ترزح تحت وطأة النير التركي ، فسياسة توطيد السلطة المركزية واعادة هيبة الدولة التي عمل لها السلطان محمود الثاني بنشاط في العقود الاولى من القرن الماضي وبقوة السلاح ، لاقت المقاومة الضارية من قبل الشعوب الخاضعة للنفوذ العثماني في البلقان والبلاد العربية وكردستان ، وكانت سببا في انحدارها السريع نحو الهاوية وتلاشيها نهائيا في فجر القرن العشرين .

ان الشعب الكردي كغيره من الشعوب رغبة منه في نيل الاستقلال السياسي قاوم بحزم ، المستبدين وتجلى ذلك في النضال المسلح طوال القرن التاسع عشر الذي يمكن وصفه حقا بانه كان «قرن الحركات الكردية التحررية» وتمثل ذلك بالعديد من الحركات والانتفاضات وبقيادة شخصيات كردية لعبت دورا بالغ الاهمية في تاريخ الكرد وكردستان ، امثال الامراء عبدالرحمن البابانى ، محمد السوراني ، بدر خان البوطاني ، الذين حاولوا خلق كيانات كردية مستقلة والتخلص نهائيا من السيطرتين العثمانية والفارسية ، وعلى هذا الاساس يعد المؤرخون نضال الشعب الكردي من اجل استعادة حريته واستقلاله يبدأ منذ اوائل القرن التاسع عشر وان القضية الكردية ظهرت في هذا التاريخ ، وسواء كانت انتفاضات الكرد المسلحة عصيانا او فتنا اجتماعية او ثورات اقطاعية ، فان جميعها تميزت بطابعها الوطني رغم كل ما قيل عنها من قبل مؤرخي السلطتين العثمانية والايرانية ومواليهما ، وأن الحركات القومية الكردية وقياداتها في القرن التاسع عشر لم تتعد الاسر الكردية العريقة من امراء الامارات الكردية وبعض رجال الدين المتنورين ، وباتفاق العديد من المؤرخين والكتاب ، كانت ثورة امير سوران اوسع حركة قومية في كردستان ، وان مدينة راوندوز اصبحت مركزا للحركة التحررية الكردية في منتصف الثلاثينات من القرن الماضي وبقيادة الامير محمد الذي كان يهدف الى خلق كردستان المستقلة لذا كان نضاله موجها ضد الدولتين الايرانية والعثمانية ، ويقول خالفين عن هذه الحركة : «انه من الضروري الملاحظة عند الكلام عن مغزى انتفاضة راوندوز بانها دلت على نمو الميول التحررية بين القبائل الكردية،في نفس الوقت فهي اظهرت بأن الدول العظمى وفي مقدمتها بريطانيا ، حاولت لعب دور فعال في كردستان ، مستخدمة القبائل الكردية لأغراضها الحربية والسياسية و «القضية الكردية» بدأت تفقد باستمرار خاصية «قضية تركية داخلية» او قضية ايرانية داخلية «مكتسبة اصداء دولية اكثر شمولا»[٤٢] .

لقد كان الامير السوراني رجلا واسع الطموح وفي رأسه مشروعات كبيرة ، استطاع في فترة قصيرة ان يؤسس دولة واسعة استطاعت ان توازن ولو لفترة قصيرة بين الامبراطوريتين الايرانية والعثمانية .

وعند تقييمنا لنشاطه بصورة عامة يجب ان نذكر بان اجراءاته في سبيل توسيع امارته وتثبيتها تشهد على محاولة اقامة دولة مستقلة وكان هذا الامر يتفق مع طموحات الكرد المستائين من الحكم العثماني والايراني ، فالتفوا حوله ايمانا منهم بان الامير الكردي يتحسس مشاكلهم اكثر . . . واستغل الامير بصورة ذكية الاسباب الاقتصادية والقومية لاستياء الكرد ، فجذب الى جانبه الفلاحين والتجار بقضائه المبرم على الفوضيه والسلب والنهب ، واصلاح الارض وتخفيض الضرائب وقد قيم فريزر وروص ولونكريك والمكرياني وغيرهم ، عاليا محاولاته في توطيد الامن والسلام والنظام والتغير الاخلاقي الذي احدثه في المنطقة ، واشاروا الى الاحترام الكبير الذي كان يكنه له الشعب ، هذا وزادت شهرته القصص والروايات التي انتشرت عن عدالته وذكائه .

وعندما ظهرت امكانية تفكيك الامبراطورية العثمانية بعد نجاح ثورة الشعب اليوناني التحررية وحركة محمد علي باشا ، اغتنم الامير فرصة اختلاف المصالح الدولية . . وفي سبيل تحقيق اهدافه استغل فترة اندفاع محمد علي ، باشا في بلاد الشام . . ، لتوسيع امارته ، ولم يهمل الاثنان لبلوغ اهدافهما ما يقدمه الواحد للآخر من فائدة ، كما لم يألُ الامير جهدا لأقامة علاقات حسن الجوار مع القوى المجاورة ، وتوحيد القبائل الكردية .

ان عهد الامير الكبير يُعد من العهود المهمة في تاريخ الكرد بدليل ان الكرد مازالوا يتغنون ببسالته ، فقد كان بامكانه ان يحقق امانيه بانشاء دولة كردية قوية ويعطيها الاستمرار . . فيما لو كانت الظروف الموضوعية في جانبه او تمتع بدعم رؤساء الكرد . . . فالحمية القومية لم تجد نفعا لحمايته فراح ضحية المفاهيم الاكثر سيادة انذاك حيث كان الاعتراف العثماني ضروريا لديمومة حكم الامراء الاكراد بموجب اتفاق «سليم – ادريس»[٤٣] ورفض الامير هذا الاعتراف ، لكنه وقع ضحية «السلاح الديني» والغدر والخداع العثماني ، وخيانة بعض الامراء الاقطاعيين وزعماء العشائر الذين ربطوا مصالحهم بالدولة العثمانية ، وحال تنافسهم وجهلهم وانانيتهم ودسائس السلطات الاجنبية دون اتحادهم او حتى تعاونهم فحرموا الكرد والكردستان من استغلال الفرص السانحة والتمتع بالحرية والاستقلال .

ولا ننسيه هنا طبيعة الشعب الكردي وروحه الدينية وتصوراته الساذجة عن الخلافة العثمانية ومدى مصداقيتها ، ليس على الصعيد السياسي فقط ، بل على الصعيد الديني ايضا . . . ومكانة وتأثير رجال الدين من الشيوخ والملالي حيث كانوا يتمتعون بالسلطتين الدينية والدنيوية احيانا وبثقة عامة الناس ، حيث بلغ احترام الناس والرؤساء لهم درجة الخضوع المطلق ، فاطاعتهم كانت تعني العمل بنواميس الشرف والدين .

كما ان الموقف المعادي للدول الاوربية ودسائس سياستها المعقدة ، ووقوفها الى جانب ايران والدولة العثمانية ، جعل من العسير ان يحظى الكرد بقيادة ستراتيجية موحدة في تلك الظروف . . . كل هذه الامور دفعت الامير الى ان يذعن للظروف السيئة التي احاطت به ، وان يكون مستعدا لاستقبال الاحداث المشؤومة . . فلم يكن مصير هذا «الرجل العجيب» كما كان من المؤمل ان يكون . . . لانه كما يقول المثل الكردي : «أبيه أن يَعبر من فوقِ قنطرة الانذال فجرفه الماء» فصار صورة مأساوية للانسان المهزوم .

المصادر والمراجع والهوامش

١ – مسعود محمد : – الحاج قادر الكوبي ، بغداد ١٩٧٤ ، جـ٢ ص ١٠٦ – ١١٠ «باللغة الكردية» .

٢ – عباس العزاوي : – تاريخ علم الفلك في العراق ، بغداد ١٩٥٩ ص ٢٦٦ – ٢٦٧ كذلك انظر زبير بلال اسماعيل : – محمد بن ادم البالكي ، مجلة المجمع العلمي الكردي ، المجلد الخامس ، بغداد ١٩٧٧ .

٣ – محمد احمد مصطفى الكزني : – الشيخ نور الدين البريفكاني . . ، القاهرة ١٩٨٣ هامش ص ٦١ .

٤ – المصدر نفسه ص ٦١ .

٥ – المصدر نفسه ص ٦٢ .

٦ – جليلي جليل : – هجوم القوات العثمانية على كردستان ، ترجمة د . كاوس قفتان . مجلة كاروان ، العدد ٢٧ .

٧ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – تاريخ العراق الحديث . . . ص ٤٠ .

٨ – المصدر نفسه ص ١٠٩ .

٩ – صديق الملوجي : – المصدر السابق ص ٤٥ .

١٠ – للمزيد من المعلومات عن اسباب هذه المذبحة وآثارها انظر بحثنا : الملايحي المزوري وسقوط امارة بادينان «القسم الثالث» ، مجلة كاروان العدد ٤٣ السنة الرابعة ١٩٨٦ «باللغة العربية» .

١١ – حسين حزني الكرياني : – المصدر السابق ص ٦٠ ويذكر المكرياني استنادا على اقوال شيوخ راوندوز ومعمريها : بان علي بك الداسني كان رجلا شهما مقداما بهي الطلعة ولم يكن يستحق الشنق الا ان الامير طلب منه بتحريض من رجال الدين المتشددين ان يشهد اسلامه . فلما لم يذعن لطلب الامير وأُعدم بايعاز من اولئك الدينيين ، وان اعدامه لم يكن بسبب الاضطرابات والفتن التي حدثت في سنجار .

والجدير بالذكر ان الروايات الشعبية والاغاني التاريخية خلدت ذكرى علي بك الداسني فالراوندزيون صغارا وكبارا يعرفون قصته ويظهر ان قتله ترك الحزن في النفوس الى درجة ان بعض الناس يعتقدون خطأً بأن مضيق «كلي علي بك» سمي بهذا الاسم نسبة اليه ومنذ ذلك التاريخ . وهناك اغنية كردية تاريخية تروى مأساته ، انظر ، اسعد عدو : ليرەيەك لەكەنجينەى نەتەوەى كورد ، بغداد ١٩٨٤ ص ٨ – ١٠ .

١٢ – صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ٥٨ .

١٣ – حسين حزني الكرياني : – المصدر السابق «الاصل الكردي ص ١٠٩» .

١٤ – صالح قفتان : – المصدر السابق ص ٢٩٩ .

١٥ – للمزيد من المعلومات راجع بحثنا ، ادريس البدليسي دوره واثره في التاريخ الكردي . مجلة كاروان العدد ٢٤ .

١٦ – كنت قد سمعت هذه الاخبار من المغني الشعبي الراحل نجم عبدالله المشهور بـ «نجو» في تموز ١٩٦٧ وهو يتحدث في مجموعة من الرجال لمناسبة دخول عشيرته معركة مع عشيرة اخرى بسبب الاراضي الزراعية ووقوف ملا احدى قرى العشيرة على الحياد قولا وعملا وذلك بتشجيعه الطرفين على التفاهم والتصالح ، واتذكر جيدا كيف كان نجو يشبه موقف ذلك الملا بموقف الملا خطي الذي حدثه عنه صديقه المغني عزيز اغا .

ولم اكن اعرف انذاك الملا الخطي او اهتم بمثل هذه الامور وعندما بدأت ابحث عن الاغنية كان نجو قد توفي ، فلجأت الى الاحياء من اصدقائه امثال المغنيين قادر حسو وعبدالله وسمانه وغيرهما من المسنين وكلهم من منطقة عقرة . . وكانت مقابلاتي معهم في تموز وآب عام ١٩٨٤ و ١٩٨٥ .

١٧ – حسين حزني المكرياني : – المصدر السابق ص ٧٣ .

١٨ – زبير بلال اسماعيل : – محمد الخطي ونهاية الامارة السورانية مجلة الحكم الذاتي ، السنة السابعة العدد الرابع «باللغة العربية» .

وعند انشاء الملعب الرياضي في راوندوز ، أعاق القبر عمليات الانشاء فأثرت عليه ، غير ان احدهم اعاد الى القبر معالمه في السنوات الاخيرة .

١٩ – د . علي الوردي : – المصدر السابق جـ٢ ص ٢٩ – ٣٠ .

٢٠ – نفس المصدر ص ٢٧ .

٢١ – جيمس بيللى فريزر : – المصدر السابق ص ١٠٠ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٥١ ، ٢٠٠ . كذلك انظر عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين جـ٧ ص ٤٩ – ٥٠ . ولونكريك ص ٣٠ ص ٣١٨ . و د . علي الوردي : – المصدر السابق ص ٨٣ – ٨٥ .

٢٢ – عباس العزاوي : – المصدر السابق ص ٦٩ كذلك انظر سليمان الصايغ : المصدر السابق ص ٣١٠ – ٣١١ . والدملوجي ص ٥١ – ٥٢ .

٢٣ – ن . أ . خالفين : – المصدر السابق ص ٢٧ – ٢٩ .

٢٤ – المصدر نفسه ص ٤١ – ٤٨ .

٢٥ – المصدر نفسه ص ٤١ – ٤٨ .

٢٦ – الشيخ عبدالرزاق البيطار : – حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر دمشق ١٩٦٣ جـ٣ ص ١٢٤٢ .

كذلك انظر احمد عبدالرحيم مصطفى : – في اصول التاريخ العثماني القاهرة ١٩٨٢ ص ١٩٧ – ١٩٨ .

٢٧ – بيير رنوفان : – تاريخ العلاقات الدولية «القرن التاسع عشر» ترجمة د . جلال يحيى ، القاهرة ١٩٨٠ ص ١٢٨ – ١٤١ .

كذلك انظر جورج لنشوفسكي : – الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ص ٥٠ – ٥١ .

٢٨ – جيمس بيللى فريزر : – المصدر السابق ص ٢٣ .

٢٩ – جليلي جليل : – المصدر السابق «كاروان عدد ٢٧» كذلك انظر علي سيدو الكوراني : – المصدر السابق ص ٢١٧ ، و ن . أ . خالفين المصدر السابق ص ٥٢ .

٣٠ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٠ – ١٠٧ كذلك انظر علي سيدو الكوراني : – المصدر السابق ص ٢١٧ .

٣١ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٥ .

٣٢ – ن . أ . خالفين : – المصدر السابق ص ٥٢ – ٥٣ .

٣٣ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٥ – ١٠٦ .

٣٤ – محمود الدره : – القضية الكردية ، ط٢ بيروت ١٩٦٦ ص ٨٧ كذلك انظر جليلي جليل : – المصدر السابق ص ١١٠ – ١١١ ، وخالفين ص ٥٣ .

٣٥ – ستيفن همسلي لونكريك : – المصدر السابق ص ٣٣٧ .

٣٦ – جليلي جليل : المصدر السابق ص ١١٠ – ١١١ .

٢٧ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٦ – ١٠٧ كذلك انظر محمود الدرة : – المصدر السابق ص ٨٧ .

٣٨ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠١ كذلك انظر د . كاوس قفتان : – المصدر السابق ص ٤٣ – ٥٧ ويعتقد كاوس ان اقحام الامير المسألة الطائفية كان سببا في سقوطه ايضا . وان الامير تضرر من انهيار جيش محمد علي باشا وانسحابه من سوريا لانه كان على علاقة وثيقة مع ابراهيم باشا ، ونسبه الدكتور ان الجيش المصري انسحب بعد عام ١٨٤٠ وبموجب معاهدة لندن . وسقطت راوندوز عام ١٨٣٦ .

٣٩ – د . عبدالعزيز سليمان نوار : – المصدر السابق ص ١٠٦ ١٠٧ .

٤٠ – المصدر نفسه ص ١٠٧ كذلك انظر محمود الدرة : – المصدر السابق ص ٦٩ ، ٨٧ .

٤١ – محمد أمين زكي : – خلاصة تاريخ الكرد وكردستان . بغداد ١٩٦٠ ص ٢٤٨ .

كذلك انظر الميجر سون : – المصدر السابق جـ١ ص ٧٧ .

٤٢ – ن . أ . خالفين : – المصدر السابق ص ٥٥ – ٥٦ .

٤٣ – للمزيد من المعلومات عن ادريس البدليسي واتفاقه مع السلطان سليم راجع بحثنا : ادريس البدليسي دوره واثره في التاريخ الكردي . مجلة كاروان العدد ٢٤ .

مدينة السليمانية

دراسة في جغرافيه

مقدمة

ان مدينة السليمانية من المدن الحديثة قياساً بالمدن الاقدم منها ، كمدينة اربيل على سبيل المثال . فالسليمانية لا يتجاوز عمرها المائتي سنة الا قليلاً ، في حين يبلغ عمر المدينة الثانية اكثر من خمسة الاف عام . وعلى الرغم من ان خرائط العصر الاشوري تشير الى وجود قرية أو مدينة قديمة في موقع مدينة السليمانية الحديث باسم آسارى (ASARI)[١] ، الا ان السليمانية كمركز حضري يقترن تأسيسها بالامارة البابانية الكردية المعروفة[٢] .

تمتاز المدينة عن القرية بارتفاع نسبة عدد سكانها الذين يمارسون فعاليات ووظائف غير زراعية . وهذه احدى الاساليب التي يستخدمها الجغرافيون لتمييز المدينة عن القرية التي يشتغل سكانها بالفعاليات الزراعية . مع ذلك فانه يكاد ان لا يكون هناك تعريف جامع وشامل للمدينة . بل ان هناك مجموعة تعاريف يعتمد بعضها على الاساس الاحصائي في التعريف[٣] . وآخر يتبنى الاساس الاداري ، او العامل التاريخي ، ورابع